اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر
في الكتب ويعين على التنبيه له التعلم ومشاهدة احوال العلماء اعني علماء الآخرة
كما سيأتي علامته هذا في اول الامر ويعين عليه في الآخر المجاهدة والرياضة
وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيه بانبياء الله واوليائه
ليتضح منهم لكل ساع الى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن
الاجتهاد والمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها **واما العلوم**
التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهي العلوم التي اوردناها في فروض الكفايات
فان في كل علم منها اقتصارا هو الاقل واقتصادا هو الوسط واستقصاء وراء الاقتصاد
لا مرد له الى اخر العمر فكن احد رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا لغيرك بعد الفراغ
من نفسك واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول
بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق
منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الصلوة والطهارة والصوم وانما الاهم الذي اهمله الكل علم
صفات القلب وما يحمد منها ويذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة من الحرص و
الحسد والرياء والكبر والعجب واخواتها وجميع ذلك مهلكات واهمالها مع الاشتغال
بالاعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التاذي بالجرب والدماميل
والتهاون باخراج المادة بالفصد والحجامة والاسهال وحشوية العلماء يشيرون بالاعمال
الظاهرة كما يشير الطرقية من الاطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الاخرة لا يشيرون الا
بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب وانما فزع
الاكثرون الى الاعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة اعمال الجوارح واستصعاب اعمال
القلوب كما يفزع الى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الادوية المرة فلا يزال يتعب في
الطلاء ويزيد في المواد وتتضاعف به الامراض فان كنت مريدا للاخرة وطالبا للنجاة و
هاربا من هلاك الابد فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات
ثم ينجر ذلك بك الى المقامات المحمودة المذكورة في ربع المنجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ من

المذموم

من المذموم امتلأ بالمحمود والارض اذا نقيت من الحشيش نبت فيها اصناف الزروع والرياحين
فان لم تفرغ من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات لا سيما وفي الخلق من قد قام به فان مهلك نفسه
في طلب صلاح غيره سفيه فما اشد سفاهة من دخلت الافاعي والعقارب داخل ثيابه و
همت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه
من تلك الحيات والعقارب اذا همت به وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر
الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما ابعد ذلك فاشتغل بفروض
الكفايات وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله ثم بسنة رسول الله صلى الله ثم بعلم التفسير
وساير علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك
في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم باصول الفقه و
هكذا الى بقية العلم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا يستغرق في فن واحد
العلو منه طالبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات و
ليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي ان ينسى فيه المطلوب
ويستكثر منه فاقتصر من شايع علم اللغة على ما تفهم به كلام العرب وتنطق به ومن
غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق
بالكتاب والسنة فما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير اليها
في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس به غيرها فالاقتصار في التفسير على
ما يبلغ ضعف القرآن في المقدار كما صنفه علي الواحدي النيسابوري رحمه الله وهو الوجيز والاقتصاد
ما يبلغ ثلثة اضعاف القرآن صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا
مرد له الى انتهاء العمر واما الحديث فالاقتصاد فيه تحصيل ما في الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل
خبير بعلم متن الحديث واما حفظ اسامي الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك
ان تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر
على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة واما الاقتصاد فيه فان تضيف اليهما ما خرج عنهما مما
ورد في المسندات الصحيحة واما الاستقصاء فما وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل من الضعيف
والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة احوال الرجال

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)